

التفسير المطول - سورة الإسراء 017 - الدرس 08-13 : تفسير الآيات 56 - 65 : مقام الألوهية .

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ : 4-09-1987

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزدنا علماً ، وأننا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وارنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا من يستمعون القول فيتبعون أحسنها ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

الله وحده يملك كشف الضر عن البشر وتحويله :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ مع الدرس الثامن من سورة الإسراء .  
وصلنا في الدرس الماضي إلى قوله تعالى : **﴿قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلَكُونَ كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾** (56) الله سبحانه وتعالى يملك كشف الضر عن البشر وتحويله ، لكن الذين يدعون من دونه لا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويله ، إذاً ينبغي أن يكون الإله قادراً على أن يزيل الضر ، ينبغي أن يكون الإله سميعاً بصيراً ، بيده كل شيء ، هذا هو مقام الألوهية ، فإذا اتخذ الإنسان من دون الله أنساناً عقد عليه آمالهم ، وجعلهم قبلته ، وأخلص لهم ، وهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ، يكون قد غامر ، وقام بسعادته في الدنيا والآخرة ، **﴿قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ رَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلَكُونَ كَشْفَ الْضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾** (56) ربنا عز وجل قال متحدثاً على لسان سيدنا إبراهيم :  
**﴿وَإِذَا مَرِضَتْ فَهُوَ يَشْفِي فِي﴾** (80)

سورة الشعراء

هل من جهة على وجه الأرض تستطيع أن توقف نمو الخلايا العشوائي ؟ هل من جهة على وجه الأرض تستطيع أن تصل إلى القلب فتصلح الخل ؟ الله على كل شيء قادر ، لذلك حينما يتوجه الإنسان إلى غير الله يكون قد قام بسعادته في الدنيا والآخرة ، لأن هذا الذي يتوجه إليه الإنسان ليس أهلاً أن تطيعه وتعصي الله ، إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله ، **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَنْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْفَوْسِيلَةِ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَنْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾** (57) هذه الآية دقيقة : **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾**

أي هؤلاء الذين يدعون من دون الله ، هؤلاء الذين يعبدون من دون الله ، هؤلاء الذين اتخذوا آلهة من دون الله ، كسيمنا عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وكسيمنا عزير : **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيزٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلِ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (30)**

سورة التوبية

وكالملاك التي تُعبد من دون الله ، هؤلاء جميعاً الذين يعبدون من دون الله أولئك الذين يدعونهم هم أنفسهم سيدنا المسيح وعزير والملاك هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، هم يعبدون الله ، إن كنتم تعبدونهم على أنهم آلهة هم يعبدون الله ، ويرجون رحمته ، ويختلفون عذابه.

**كَلَمَا اشْتَدَ قَرْبُ الْإِنْسَانِ مِنَ اللَّهِ اشْتَدَ إِقْبَالُهُ عَلَيْهِ وَابْتَغَى إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ :**

**﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾** كلما اشتد قرب الإنسان من الله اشتد إقباله عليه ، ابتغى إليه الوسيلة ، أيهم أقرب من هؤلاء يبتغون إلى ربهم الوسيلة . كلما اقترب الإنسان من الله ذاق من طعم القرب فزاد شوقه إلى الله عز وجل ، وابتغى إليه الوسيلة .

الوسيلة لها معانٍ واسعة ، الوسيلة قد يتولى الإنسان إلى الله بطاعته ، فطاعة الله وسيلة ، وقد يتولى الإنسان إلى الله بالعمل الصالح ، والعمل الصالح وسيلة ، وقد يتولى الإنسان إلى الله بحضور مجالس العلم ، واتباع أهل الحق ، فأهل الحق وسيلة ، الوسيلة أي الشيء الذي يقربك من الهدف ، فهوئاء الذين يدعون من دون الله هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة ، ربنا عز وجل قال :

**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (110)**

سورة الكهف

العمل الصالح ثمن اللقاء ، عن سفيان بن عبد الله التقي قال : قلت : يا رسول الله قلن لي في الإسلام قوله لا أأشأ عنك أحداً غيرك ، بعذتك ، قال : قلن آمنت بالله ثم استقم .

صحيف مسلم

فالاستقامة أيضاً طريق إلى الله عز وجل ، خدمة الخلق طريق إلى الله عز وجل ، الدعوة إلى الحق طريق إلى الله عز وجل ، لزوم مجالس العلم طريق إلى الله عز وجل ، بر الوالدين طريق إلى الله عز وجل ، الاستقامة في البيع والشراء طريق إلى الله عز وجل ، الوقوف

عند حدود الله طريق إلى الله عز وجل ، نصخ المسلمين طريق إلى الله عز وجل ، ما أكثر الطرق إلى الله عز وجل ! إنها أمامك مفتاح أبوابها ، لذلك الإنسان لا يعدم وسيلة يصل بها إلى الله عز وجل ، وأن تضع اللقمة في فم زوجتك هي لك صدقة ، وأن تميّط الأذى عن الطريق هو لك صدقة ، وأن تلقى أخاك بوجه طلق هو لك صدقة ، وأن تفرغ إناءك في دلو المستysi هو لك صدقة ، وأن تعين الأخرق هو لك صدقة ، وأن ترشد الرجل الضال إلى هدفه هو لك صدقة ، وأن تقدّم كفييف البصر هو لك صدقة ، وما أوسع أبواب الخير ، وأبواب الخير كلها طرق إلى الله عز وجل .

عن أنس بن مالك : **الخُلُقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ، وَأَحَبُّهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِعيَالِهِ.**

البوصيري : إتحاف الخيرة المهرة : خلاصة حكم المحدث : فيه يوسف بن عطيه الصفار وهو مجمع على ضعفه : أخرجه البزار ، وأبو يعلى ، والطبراني في مكارم الأخلاق .

فهؤلاء الذين تدعونهم من دون الله ، هؤلاء الذين تبعدونهم من دون الله ، هؤلاء الذين اتخذتهم آلهم هم أنفسهم يبتغون إلى ربهم الوسيلة أقرب ، كلما اقترب الإنسان من الله عز وجل يبتغي إلى الله الوسيلة باللحاج أشد وبصدق أكبر .

يوجد معنى آخر ؛ **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوِسِيلَةَ أَيْمَنُهُمْ أَقْرَبُ﴾** أي يتخذ أشد الوسائل فعالية ، وأشد الوسائل تقريباً إلى الله عز وجل ، إما أنه أقرب ، أو أنه بمعنى أنها أقرب ، على كل هؤلاء الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ، لا يملكون لكم نفعاً ولا ضراً ، إنهم يبتغون من الله الرحمة ، إنهم يرجون رحمة الله ، ويخافون عذابه .

**الله عز وجل يتجلى على الإنسان برحمته دائمًا :**

**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوِسِيلَةَ أَيْمَنُهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾** أنت في دعاء الوتر تقول : نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك ، الرحمة : الشيء المريح ، أن تعم بصحة وافرة رحمة ، وأن يكون عقلك ناضجاً هذه رحمة ، وأن تملك قوت يومك هذه رحمة ، وأن تستمتع بحواسك كلها هذه رحمة ، وأن يكون لك زوجة ترضيك هذه رحمة ، وأن يكون في البيت أولاد هذه رحمة ، وأن يحبك الناس هذه رحمة :

**أَنِ افْدِيْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِيْهِ فِي الْيَمِّ فَلَيْلِهِ الْيَمِّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوُّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ وَالْقَيْثُ عَيْنِي مَحَبَّةً مِنِي وَلِلْصُّنَعَ عَلَى عَيْنِي (39)**

سورة طه

والله لو أطلع الناس على سريرة الإنسان لأبوا أن يسلّموا عليه ، ولكن الله عز وجل من كرمه يرزق الجميل ، ويستر القبيح ، يطلع الناس على محسنانك ، ويخفي عنهم مساوئك ، لذلك هم يحبونك ، فلو كشف الله الستر ما سلم عليك أحد :

لأبى السلام علّي من يلقاني  
ولبؤت بعد كرامة بهوان  
والله لو علموا قبيح سريرتي  
ولأعرضوا عنِي وملّوا صحبتي

شعر عبد الله بن محمد القحطاني

\*\*\*

إذا : **﴿وَلَقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِي﴾** هذه رحمة ، يرجون رحمته ، وهناك رحمة الإقبال ، ورحمة التجلی ، فلو أقبلت على الله عز وجل ، وتجلی على قلبك فهذه رحمة من نوع آخر ، هذه الرحمة عبر عنها الله عز وجل بقوله :  
**﴿وَلَا تُقْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ حَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** (56)

سورة الأعراف

أحسن يرحمك الله عز وجل ، فعن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
**رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى ، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى .**

صحیح البخاری

هذا العبد يتجلی الله عليه بالرحمة ، رحم الله عبداً عرف حدّه فوقف عنده ، هذا الإنسان يتجلی الله عليه بالرحمة .

رأس الحکمة مخافة الله :

**﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾** أي عذاب الله عز وجل مُنَوِّعٌ جداً ، عذاب الله عز وجل قريب قريب ، نقطة من الدم لا تزيد عن رأس دبوس لو تجمدت في بعض شرائين المخ لأصيب الإنسان بالشلل ، في مكان آخر لأصيب بالعمى في مكان ثالث لأصيب بالصمم ، في مكان رابع لفقد ذاكرته ، لو توقفت الكليتان عن العمل أصبح الموت أحلى من الحياة ، لو توقف الكبد عن العمل ، لو انقطع العمود الفقري إثر حادث ، يصاب الإنسان بالشلل طوال حياته ، **﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾** لو فقد الإنسان عقله أقرب الناس إليه يسوقونه إلى المستشفى ، يتخلون عنه ، **﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾** هذا الذي لا يخشى الله ، لا يخاف الله ضعيف التفكير ، محدود الأفق ، غبي ، أحمق ، لذلك **رأس الحکمة مخافة الله** .

المبادرة إلى التوبة قبل فوات الأوان من أجل النجاة من عذاب الله :

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً (57) وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (58)﴾ أي الله سبحانه وتعالى هكذا جاء في علمه أن القيامة لن تقوم إلا بعد أن تكون الأرض قد خلت من الحياة ، فكل هذه القرى ، كل هذه المدن التي ترونها ، هذه المدن العظيمة التي فيها ناطحات السحاب ، فيها الجسور ، فيها الأنفاق ، فيها أنفاق تحت الأرض ، وفيها أنفاق تحت البحر ، وفيها جسور معلقة ، وفيها أبنية شاهقة ، هذه المدن الضخمة ، هذه المدن التي يعزز أصحابها بها ، ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ هَذِهِ (إن) تُعْنِي مَا ، حرف نفي ، أي ما من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة أو معذبوها عذاباً شديداً كان ذلك في الكتاب مسطوراً ، فإن كانت هذه القرية تقيم شرع الله ، وتقيم أمر الله ، وهي محسنة لابد من أن تنتهي قبل يوم القيمة ، فكل من عليها فان ، كل شيء هالك إلا وجهه ، فالموت حق ، لن تبقى قرية إلى الأبد ، لابد من أن تنتهي ، فاما إن كان أهلها ظالمين ، إن كانت فيها الفاحشة ، إن ارتكبت فيها المعاصي فهذه المدينة سوف تعذب عذاباً شديداً ، إما أن تهلك ، ثم تُدمَر ، وإنما أن تعذب عذاباً شديداً ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (58)﴾ وليس أخبار الزلازل والفيضانات والبراكين عنا بعيد ، مدينة في أمريكا الشمالية قُتِلَ خمسة وثلاثون ألفاً في ساعات ، بركان ثار وأذاب الثلوج ، والثلوج سبب الفيضانات ، ما بقي منها أحد ، تحت سمعنا وبصرنا ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُوراً (58)﴾ :

### إِنْ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ (12)

سورة البروج

الله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل . .

وَكَذِلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقُرْيَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)

سورة هود

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَدْهَنُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (2)

سورة الحج

لذلك هذه الآية تطبقها العملي أن تأخذ الحيطه ، أن تتوب إلى الله عز وجل ، لأنك إذا تبت إلى الله عز وجل سوف تتجو من أي عذاب .  
وَإِذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَفْرَأَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّى كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُمَّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88)

سورة الأنبياء

هكذا دعا سيدنا يونس عليه السلام : ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَا مِنَ الْفَمِ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) ﴾ حق على الله عز وجل أن ينجي المؤمن ، الآية الكريمة تقول : ﴿ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ (88) ﴾ هنالك آيات أخرى توکد هذا المعنى ، ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا تَحْنُّ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) ﴾ . .

قالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (31) قَالُوا إِنَّا أُرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (32) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ (33) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رِيَكَ لِلْمُسْرِفِينَ (34) فَأَخْرَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (36)

سورة الذاريات

واضحة كل الوضوح ، لذلك إذا قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا تَحْنُّ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (58) ﴾ معنى ذلك أن تبادر إلى التوبة قبل فوات الأوان ، من أجل أن تتجو من عذاب الله .

### الهلاك عاقبة من أنته آيات الله ثم لم يؤمن بها :

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ أي كفار مكة اقتربوا على النبي عليه الصلاة والسلام أن يجعل جبل الصفا من الذهب ، أو أن يزيح عنهم جبال مكة كي يزرعوا أرضها ، طلبوا طلبات ، فالله سبحانه وتعالى أجابهم : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ ﴾ التي تقرحوها على نبيكم ﴿ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾ وإليكم بعض الأمثلة : ﴿ وَأَتَيْنَا تَمْوِيدَ النَّاقَةَ ﴾ قوم ثمود طلبوا من نبيهم سيدنا صالح أن تخرج لهم ناقة من الجبل فاستجاب الله لهم ، ولم يؤمنوا ، وعقرموا الناقة ، فاستحقوا الهلاك .

لذلك إذا جاءت الآيات المصدقة ، إذا جاءت المعجزات المصدقة لرسالة الأنبياء ، ولم يؤمنوا بها فقد استحقوا الهلاك فورا ، فالله سبحانه وتعالى رحمة بأمة سيدنا محمد رحمة بها لم يرسل لها الآيات ، لو أرسل لها الآيات ، وكذب بها قوم النبي عليه الصلاة والسلام لاستحقوا الهلاك ، هلاك استئصال لا هلاك تأديب .

﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ آية واضحة كالشمس ، آية كأنها هي التي تتصير ، تُبَصِّرُ الناس بوحданية الله عز وجل ، والآيات التي توکد وحدانية الله عز وجل ، ووحدانية الألوهية ، ووحدانية الربوبية ، ووحدانية الخلق لا تعد ولا تحصى ، ﴿ فَظَلَمُوا بِهَا ﴾ ظلموا أنفسهم حينما لم يؤمنوا بها ، وظلموا أنفسهم حينما عقروها :

**فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِئْبِهِمْ فَسَوَاهَا (14) وَلَا يَخَافُ عَقْبَاهَا (15)**

سورة الشمس

**آيات الله من أجل أن يخاف الآخرون ويتبوا :**

﴿وَمَا نُرِسِلُ بِالْأَيَّاتِ إِلَّا تَحْوِيْفًا (59)﴾ التحريف باللغة المألوفة تعني أن الإنسان قد يخوّف إنساناً ، ولا يفعل ما يقول ، لكن التحريف في القرآن الكريم معناه التحريف بالمعنى اللغوي الدقيق ، أي أن الله سبحانه وتعالى حينما تُدَمِّر القرى ، حينما تأتي الفيضانات ، حينما تأتي البراكين فتحرق المدن ، حينما تأتي الزلزال فتصبح المدينة أثراً بعد عين ، هذه الآيات من أجل أن يخاف الآخرون ، من أجل أن يتوبوا ، من أجل أن يتعظوا .

مثلٌ بين أيدينا ؛ لو أن الناس جمِيعاً ولدوا مرة واحدة ، وماتوا مرة واحدة ما اتعظوا ، ولكن هذا الموت التدريجي من أجل أن يتعظ الأحياء بالأموات ، قبل يومين كان معك ، ملء السمع والبصر ، يتكلم ويناقش ، ويذهب ويعود ، وله بيت ، وله أولاد ، وله مكانة اجتماعية ، بعد يومين صار على خشبة الغسل جثة هامدة ، لا حراك بها ، بعد ساعتين تحت التراب ، بعد أسبوع أصبح خبراً ، فلان له وجود ، له شخصيته ، له رأيه ، له أمره ، له نهيه ، له مكانته ، له إدارته لأعماله ، بعضهم يخافه ، بعضهم يخشى ، فإذا مات صار خبراً .

﴿وَمَا نُرِسِلُ بِالْأَيَّاتِ إِلَّا تَحْوِيْفًا (59) وَإِذْ قُنَّا لَكَ﴾ يا محمد عليه الصلاة والسلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي اطمئن ، الخلق كلهم بيد الرحمن ، كن فيكون ، زل فيزول ، لا تخف ..

**عصمة النبي عليه الصلاة والسلام أنواع عديدة :**

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلَّغْ مَا أُنزِلْ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (67)

سورة المائدة

عصمة النبي عليه الصلاة والسلام أنواع عديدة ، هناك عصمة التبليغ ، وهناك عصمة الفعل ، وهناك عصمة من أن يقتل ، لا تخف فلن يصلوا إليك ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ هذه الآية على شاكلة ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ ، ﴿وَإِذْ قُنَّا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ هم في قبضته ، يمد لهم ليختنهم ، يمد لهم ليكشف نواياهم ، وهو يعرفها ، ليكشفها لهم ، يكشفها للآخرين .

## أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ (2)

سورة العنكبوت

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ هؤلاء الله سبحانه وتعالى يمدهم ، لكن لهم

أجل لا ريب فيه ، أي لا تخف يا محمد ، إن الله عز وجل ناصرك عليهم في الوقت المناسب .

بالفتنة يكشف الإنسان على حقيقته :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي حينما عُرِجَ به إلى السماء ، حينما أُسرى به إلى بيت المقدس ، وحينما عُرِجَ به إلى السماء أراه الله ملکوت السموات والأرض ، وأطلعه على ما كان وما سيكون ، لذلك حينما عاد النبي عليه الصلاة والسلام من المراج والإسراء إلى مكة قصّ على الناس ما رأى .

## مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (17) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)

سورة النجم

هذه الرؤيا التي رأها النبي عليه الصلاة والسلام وهو في السموات ، رأى يوم القيمة كيف أن أهل الجنة بالجنة يتعمدون ، وكيف أن أهل النار بالنار يُعذّبون ، رأى آكلي الريا ما مصيرهم ، رأى الزناة ما مصيرهم ، رأى الذين يعيشون آباءهم ما مصيرهم ، أطلعه الله على كل شيء ، أطلعه على مرتبته ، أطلعه على مكانته ، أطلعه على الأنبياء ، أطلعه على كل شيء ، كان الإسراء والمراجعة إكراماً للنبي عليه الصلاة والسلام بعد محن شديدة ألمت به ، **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي﴾** ليس معنى الرؤيا هنا المنام ، الرؤيا من رأى ، **﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (18)﴾** ، **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾** أي أريناها **﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾** بعض الناس ارتدوا على أدبارهم بعد أن سمعوا ما قصه النبي عليهم ، واعتبروه وعدوه هذياناً وببالغة وتجاوزاً لحدود المعقول ، وبعض المؤمنين الصادقين زادتهم هذه الرؤيا إيماناً وتصديقاً ، يا أبا بكر يزعم صاحبك أنه ذهب إلى بيت المقدس ، وأنه عُرِجَ به إلى السماء ، وأنه رأى كذا وكذا ، فما زاد عن أن قال : إن قال هذا فقد صدق ، لذلك سمى الصديق رضي الله عنه ، فهوئاء الناس حيال هذه الرؤيا انقسموا فريقين ؛ فريق ارتد على أدباره ، وفريق زادته هذه الرؤيا إيماناً ، لكن هذه المعجزة التي خُصّ بها النبي الكريم لم تكن تحت سمعهم وبصرهم ، لو كانت كذلك ولم يؤمنوا لاستحقوا الهلاك ، ولكن الله عز وجل سماها فتنة ، أي نُقلت لهم خبراً ، قوم موسى رأوا البحر بأعينهم قد أصبح طريقاً ييساً ، قوم صالح رأوا الجبل قد خرجت منه الناقلة بأعينهم ، لكن قوم النبي عليه الصلاة والسلام لم يروه بأعينهم وقد عُرِجَ به إلى السماء ، لو رأوه وكذبوا لاستحقوا الهلاك رحمة بهم ، لذلك هذه المعجزة نُقلت لهم خبراً ، ولم تكن لهم رؤية .

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ افتنوا بها ، ومعنى افتنوا بها أي ظهروا على حقيقتهم ، أساساً هناك مواقف أخرى كغزوة الخندق ، في الخندق قال بعض الدعاة: ما وعدنا الله رسوله إلا غروراً ، وقال بعض المؤمنين المتمكنين في إيمانهم : **مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدُّقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهُ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَةً وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23)**

سورة الأحزاب

هذه فتنة ، الفتنة الإنسان بها يكشف على حقيقته .

**الشجرة التي تحدث الله عنها في القرآن كانت فتنة للناس بعضهم صدق وبعضهم كذب**

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ في الآية تقديم وتأخير ، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس ، أي النبي عليه الصلاة والسلام والله سبحانه وتعالى حدثهم عن شجرة الزقوم : **إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ (64) طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ (65)**

سورة الصافات

قال أبو جهل : النار تأكل الحجر ، فكيف ينبت فيها الشجر ؟ إن هذا كذب ، والزقوم هو الزبد والتمر ، فدعا بزبد وتمر ، ودعا أصحابه وقال : ترقموا ، أي : كلوا ، هذا الذي قاله محمد لا أصل له ، فهذه الشجرة التي تحدث الله عنها في القرآن أيضاً كانت فتنة للناس ، بعضهم صدق ، وبعضهم كذب .

﴿وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (60)﴾ أي هؤلاء المتشبّثون بشهواتهم لا يزدادون على آيات الله إلا تشبيثاً وعصياناً وبعداً وعدواناً .

**الإنسان مخير :**

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيس﴾ كان متكبراً ، أبي أن يسجد للإنسان ، لسيدهنا آدم ، **﴿قَالَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (61)﴾** أنا من نار ، وهذا من طين ، أنا أسجد له ؟ استتكف أن يسجد له ! قال الله تعالى على لسان إبليس : **﴿قَالَ أَرَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَمْتَ عَلَيَّ لِئَنِّي أَخْرَتْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَكَنَّ دُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (62)﴾** هذا الذي كرمته عليّ الإنسان أنا سوف أحتجيه ، سوف أضلّه ، سوف أغويه ، سوف أجعله يعصيتك ، سوف أجعله يحب الدنيا ، هذا الذي كرمت عليّ : **﴿أَرَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَمْتَ عَلَيَّ لِئَنِّي أَخْرَتْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**

**لَا حَتَّىَنَّ ذَرِيَّةً إِلَّا قَلِيلًا** (62) هذا الاستثناء للمؤمنين ، هؤلاء لا أقوى عليهم ، لا أستطيع أن أصلهم ، ليس بإمكانني أن أزحفهم منهم إلا قليلاً ، قال الله عز وجل : **«قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ** من تبعك هو مخير ، هناك آية دقيقة جداً :

**وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي غَائِبٌ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تُلُومُونِي وَلَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلٍ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** (22)

سورة إبراهيم

إذا الإنسان مخير ، وإبليس والشياطين ليس لها عليه سلطان أبداً ، كل ما تملك أن توسوس ، وأنت مخير ، إلا من اتباعك باختياره : **«قَالَ اذْهَبْ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ** اذهب فمن تبعك فهو على شاكلتك ، من أطاعك فهو على شاكلتك ، **«اذْهَبْ فَمَنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَوْكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا** (63) الإنسان مخير ، وأنتم توسوس له ، والمملأ يلهمه ، فإن اتباعك مختاراً فهو على شاكلتك ، ويستحق النار ، وإن أبي ، وأطاعني يستحق الجنة .

**الاستفزاز من قبل الشيطان بالصوت إما بالوسوسة وإما بالغناء :**

**«وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ** الاستفزاز أي التحرير ، الإثارة ، فلان استفزني أثارني ، **«وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ** قال بعضهم : الصوت هنا الوسوسة ، لأنها وسوسة لا تعني شيئاً سميت صوتاً تحيراً لها ، الإنسان يصوت أي يتكلم ، أما إذا كان الكلام ليس له معنى يقول : أوقفوا هذا الصوت ، صار صوتاً ، كلام مبهم ، فتحيراً لهذه الوسوسة قال الله عنها : إنها صوت .

هناك معنى آخر ؛ هذا هو الغناء ، الغناء ينبع النفاق ، **«وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ** الأغاني التي تثير الشهوات ، وتصف العورات ، وتغرى بالزندي ، هذه كلها من مزامير الشياطين .

**«وَاسْتَفْزِرْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَاجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلَكَ وَرَجْلَكَ** أي جند كل جنودك ، الراكبين والمشاة ، جندكم ليضلوا هذا الإنسان ، عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان : لا مبيت لكم ، ولا عشاء ، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان : أدركتم المبيت ، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال : أدركتم المبيت والعشاء .

صحيح مسلم

كل الليل يقضونه في المشاكل والصراعات ، وإذا جلس الإنسان إلى الطعام ولم يسمّ قال الشيطان لأخوانه : أصبتم العشاء ، سنأكل معهم ، فإذا دخل ولم يُسلِّم ، وإذا جلس إلى الطعام ولم يسمّ يقول الشيطان لأخوانه : أصبتم المبيت والعشاء ، **﴿وَاسْتَفِرْزُ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلَكَ وَرَجْلَكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ﴾** بعض المفسرين قال : هذه صورة ، أي أنت إذا رأيت إنساناً متحصناً تصيح به إلى أن يخرج ، فإذا خرج تحيط به من كل جانب ، تحيط به بالفرسان والمشاة ، من أجل أن تقضي عليه فكانها معركة ، الله عز وجل يصف لنا معركة ، أولاً : يدعوهם ، يسوس لهم ، ثم يوقعهم ، **﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾** اجعل كسبهم حراماً ، أو اجعلهم ينفقون هذه الأموال على المعاصي ، والأولاد ؟ واجعل أولادهم من أولاد الزنى ، أو ليعلموا أولادهم على المعاصي ، المعنيان كلاهما صحيح ، وعدهم بالمال الوفير ، الكافر يفكر بالدنيا ، سأشترى هذا البيت ، سأشترى هذه الدكان ، سأشترى هذه المركبة ، سأفعل كذا وكذا ، سأسافر ، **﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾** (64) .  
إذا الاستفزاز من قبل الشيطان بالصوت إما باللوسوسه ، وإما بالغناء .

### تسخير الشيطان كل طاقاته من أجل أن يوقع بالإنسان :

**﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلَكَ وَرَجْلَكَ﴾** صورة تؤكد أو تبين كيف أن الإنسان يكون معتصماً في حصنه ف يأتي الشيطان فيناديه ، يصيح به إلى أن يخرج ، فإذا خرج حاصره وقاتلته ، أو أن الشيطان يسخر كل ما يملك من طاقات وفتن ومن مصائب من أجل أن يوقع بهذا الإنسان ، اتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، فإن إبليس طلاق رصاد وما هو من فخوه بأوثق لصيده في الأنقياء من النساء .

النساء حبائل الشيطان . وجُمع الشر كله في بيت ، ثم أُرتجع عليه فكان مفتاحه السكر ، الخمر أمُّ الخبائث .

عن عثمان بن عفان :

**اجتبوا أمَّ الْخَبَائِثِ** فإنه كان رجُلٌ ممَّن كان قبلكم يتبعُدُ ويعتزلُ النَّاسَ فعلقتُه امرأة فأرسلت إليه خادماً إنا ندعوك لشهادة فدخل فطفقت كلما يدخل باباً أغلقته دونه حتى إذا أفصى إلى امرأة وضيئه جالسة وعندها غلام وباطيء فيها خمر فقالت إنا لم ندعوك لشهادة ولكن دعوتك لقتل هذا الغلام أو تقع علىي أو تشرب كأساً من الخمر فإن أبيت صحت بك وفضحتك قال فلما رأى أنه لا بد له من ذلك قال اسقيني كأساً من الخمر فسقته كأساً من الخمر فقال زيدبني فلم

تَرَأَ حَتَّىٰ وَقَعَ عَلَيْهَا وَقْتُ النَّفَسِ فَاجْتَبَوَا الْخَمْرَ فَإِنَّهُ وَاللَّهُ لَا يَجْتَمِعُ إِيمَانٌ وَإِدْمَانٌ الْخَمْرِ فِي صَدِرِ رَجُلٍ أَبْدًا وَلَيُوشِكُنَّ أَحْدُهُمَا يُخْرُجُ صَاحْبَهُ.

المتندي : الترغيب والترهيب: خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح أو حسن : أخرجه ابن أبي الدنيا والمشاركة في الأموال كسبها من طريق حرام ، وإنفاقها في طريق حرام ، والمشاركة في الأولاد أن يأتي الولد من حرام ، أو أن يوجه إلى المعاصي في وقت مبكر ، حتى ينشأ على المعصية .

### وعود الشيطان للإنسان وعود كثيرة كاذبة :

﴿يَعِدُهُمْ﴾ الشيطان يعد الإنسان وعوًداً كثيرة من هذه الوعود يعده بأن ينجو من عذاب الله ، أي أيام هذا الذي يرتكب كل المعاصي والموبقات ويموت وهو عاصٍ يعده الشيطان أن ينجو من عذاب الله ، اليهود ظنوا أنهم لن يبقوا في النار إلا أياماً معدودة ، هذا من وعد الشيطان ، وقد يعدهم بالدنيا ، يعدهم بزینتها ، بزرحفها ، بمنعها ، بمحااجها ، يجعلها لهم كبيرة جداً في أعينهم ، ينساقون إليها على حساب كرامتهم ، على حساب مبادئهم ، على حساب قيمهم على حساب دينهم ، على حساب مروءتهم ، يُقبلون عليها ، يأتي الموت يُضيقون عندَه .

﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَعْبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ (83)

سورة الزخرف

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْغَفُونَ (45)

سورة الطور

والشيطان أيضاً يشمت بهم .

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا فُضِّيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْفَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُنِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِي إِلَّيْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلٍ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (22)

سورة إبراهيم

﴿وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64)﴾ وعود كاذبة لا أساس لها من

الصحة ، استمعوا إليها الإخوة إلى هذا التعقيب : «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» إذا كنت من عباد الله لو اجتمعت الإنس كلها والجن على أن يحرفك عن طريق الحق لا يستطيعون «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» .

### من اعتمد بالله عز وجل لن يستطيع أحد أن يخرجه عن استقامته :

﴿وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (65) ، من اعتصم بالله عز وجل ، واستعاد به ، وأقبل عليه ، واستقام على أمره لن تستطيع الجن ولو اجتمعوا ، بل لن يستطيع شياطين الجن كلهم أن يخرجوه عن استقامته ، لذلك : ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (65) ، كن عبداً لله حتى يحميك الله من الشيطان .

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ  
النَّفَاثَاتِ فِي الْغَدَرِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)

سورة الفلق

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4)  
الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)

سورة الناس

وَإِمَّا يَرْغَبُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَرْغُبُ فَأَسْتَعِدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (36)

سورة فصلت

هذا توجيه الله عز وجل . ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ (65) الله سبحانه وتعالى وكيلك يحميك ، ويحفظك ، ويقيك من وساوس الشيطان .

والحمد لله رب العالمين

